الثوار يُفشلون مخططات قوات الأسد وإيران في ريف حلب الجنوبي

العهد – أحمد خليل

يحظى ريف حلب الجنوبي باهتمام كبير من جانب الثوار وقوات الأسد، حيث تظهر محاولات النظام المتكررة للسيطرة عليه لمدى أهميته العسكرية والاستراتيجية، في حين يعتبر الريف الجنوبي خط دفاع أول عن مدينة حلب بالنسبة للثوار.

ويشهد الريف الجنوبي معارك كر وفر بين فصائل الثوار وقوات الأسد منذ عدة أسابيع، كما تتعرض مواقع الثوار والأحياء السكنية لقصف يومي من قبل قوات الأسد والطيران الحربي الروسي، ولا سيما بعد استعادة الثوار مؤخرا لتلة العيس الاستراتيجية.

وقال أبو جعفر الحلبي أحد مقاتلي الجبهة الشامية في تصريح خاص» للعهد»: إن قوات الأسد والميليشيات الداعمة لها تستميت من أجل إحكام السيطرة على تلة العيس، موضحا أن من يقود المعارك في المنطقة هم الحرس الثوري الإيراني وميليشيات الشبيحة وحزب الله ولواء الفاطميين الأفغاني، وعدد من الميليشيات العراقية.

وأضاف الحلبي أن الثوار كبدوا هذه الميليشيات خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد وقتلوا أعدادا كبيرة منها ومن عناصر قوات الأسد، موضحا أنه قتل أيضا خلال المعارك عشرات المقاتلين الإيرانيين التابعين للواء ٦٥.

وتأتي أهمية تلة العيس كونها أعلى المرتفعات في ريف حلب الجنوبي، ويستطيع من يسيطر عليها أن يجمّد خطوط الجبهات المحيطة بالتلة عبر استهدافها بشكل دوري من قمة التلة، وتزداد أهميتها كونها تشرف على طريق حلب - دمشق الدولي، ومركز انطلاق نحو بلدتي كفريا والفوعة الشيعيتين بريف إدلب. كما أن لتلة العيس أهمية بالنسبة لمدينة حلب حيث تبعد عنها حوالي ٣٥ كيلو مترا فقط، وبالسيطرة عليها يستطيع النظام أن يشن هجمات على ريف حلب الغربي ليطبق حصاره على مدينة حلب.

وأشار أبو سلمان أحد مقاتلي الثوار في تصريح «للعهد» أن قادة جيش الفتح قرروا المشاركة في المعارك الدائرة بريف حلب الجنوبي، بعد أن استشعروا الخطر الكبير الذي سيهدد محافظة إدلب بأكملها في حال استولت قوات الأسد على تلة العيس.

وتشارك في معارك ريف حلب الجنوبي العديد من الفصائل أبرزها، حركة أحرار الشام وجيش الفتح والجبهة الشامية وكتائب ثوار الشام وجبهة النصرة وفيلق الشام وتجمع فاستقم كما أمرت وعدة كتائب وفصائل أخرى.

جانب من معارك ريف حلب الجنوبي

تأمين خطوط دفاعية جديدة

استغل النظام والميليشيات التي تقاتل إلى جانبه القصف الروسي على مواقع الثوار فقرروا فتح معركة جنوبي حلب بهدف التقدم باتجاه ريفي حلب الجنوبي والشرقي، وفك الحصار عن مطار كويرس العسكري، وإشغال الثوار من أجل الوصول إلى بلدتي نبل والزهراء بريف حلب الشمالي، وبالفعل تمكنوا من ذلك بعد هجمة عسكرية ضخمة على المنطقة.

وعلى الرغم من محاولة قوات الأسد تأمين خطوط دفاعية جديدة في ريف حلب الجنوبي عن طريق حشد قوة عسكرية كبيرة من أجل الحفاظ على طريقه الواصل إلى ريفي حلب الشرقي والشمالي، إلا أن الثوار استطاعوا التقدم في كل من تلة العيس وخان طومان والبلدات والقرى الموجودة في الريف الجنوبي.

نزوح جماعي للأهالي

تسبب القصف العنيف من قبل روسيا وقوات الأسد التي استهدفت القرى والبلدات والمشافي بالريف الجنوبي، بالصواريخ الفراغية والقنابل العنقودية وقذائف المدفعية والبراميل المتفجرة، بمقتل أعداد كبيرة من الأطفال والنساء وكبار السن، ما أجبر آلاف الأسر على النزوح إلى مناطق أخرى أكثر أمنا.

وتقدر أعداد النازحين بأكثر من ١٠٠ ألف أغلبهم من الأطفال والنساء، حيث ينتشر بريف حلب الغربي ٥٠ ألف نازح، كما يضم ريف حلب الشمالي نحو ٣٠ ألفا، في حين يوجد بريف إدلب ٢٠ ألف نازح.

وتعاني القرى والبلدات التي استقبلت النازحين من الريف الجنوبي لحلب من كثافة سكانية كبيرة، كونها أساسا تحوي أعدادا كبيرة من نازحي محافظتي حمص وحماة.

ساحة صراع إقليمية

يرى العديد من المراقبين أن معركة حلب بمساحتها وثقلها الديمغرافي الكبيرين، تعد من أصعب المعارك في سورية، ويصعب التكهن بما ستؤول إليه الأمور، ويمكن اعتبارها ساحة مصغرة للصراع الإقليمي والدولي.

لاشك أنه على مدار السنوات الثلاث الماضية، شكلت حلب وريفها ساحة اشتباك مفتوحة بين مختلف الأطراف، على وقع عمليات كر وفر، دون تمكن أي طرف من فرض سيطرته الكاملة على المحافظة لعجزه عن تحقيق ذلك بسبب مساحتها الواسعة وكثرة القوى العسكرية المتواجدة فيها.

◆◆

تأتي أهمية تلة العيس كونها أعلى المرتفعات في ريف حلب الجنوبي، ويستطيع من يسيطر عليها أن يجمّد خطوط الجبهات المحيطة بالتلة.

◆◆

معركة حلب بمساحتها وثقلها الديمغرافي الكبيرين تعد من أصعب المعارك في سورية، ويصعب التكهن بما ستؤول إليه الأمور.

بين الخطف والتهديد بالحصار.. أهالي برزة على صفيحٍ ساخن

العهد - ضياء الشامي

رغم أنها كانت من أوائل المناطق الثائرة في مدينة دمشق، إلا أنها اضطرت لأن تكون أول المناطق المهادنة أيضاً. إنها برزة ذلك الحي الدمشقي العريق الذي تتصل بساتينه بكل من القابون وجوبر، والذي ذاق من قذائف النظام وحقده الكثير، وحين عجز النظام عن كسر شوكة ثوّاره سعى إلى التهدئة معهم وإلى تحييد المنطقة بهدف تأمين العاصمة، فارضاً عليهم هدنة لم تنفذ بنودها كاملة حتى الآن.

ومع استقرار الأوضاع في المنطقة بدأ المدنيون بالعودة إلى منازلهم التي أنهكها القصف، إلا أن حياتهم لم تعد إلى سابق عهدها.

فالمنطقة التي تقع على صفيح ساخن قد يطرأ أيّ تصعيد عليها، وخاصة مع وجود حي عش الورور إلى جوارها.

وعش الورور هو منطقة مكونة من منازل عشوائية يقطنها أغلبيةٌ من الطائفة العلوية وأعداد كبيرة من شبيحة الأسد ومليشيات الدفاع الوطني، حيث قام نظام الأسد بإمدادهم بالسلاح وإطلاق أيديهم، مما جعل هذا الحي وأهله مصدر تهديد مستمر على منطقة برزة برمّتها.

وفي الشهور الأخيرة بدأ الحي يشهد تهديداتٍ متزايدة وعقوباتٍ جماعية وحصارا متقطعا، بالإضافة إلى حالات الاعتقال و الخطف و القنص والتجويع، فقبل أيام اندلعت اشتباكات عنيفة بشكل مفاجئ وتعرض الحيّ لقصفٍ عنيف براجمات الصواريخ دون سبب معلن، حيث قامت مليشيات الدفاع الوطني في عش الورور وقناصته بخرقٍ لبنود الهدنة وذلك باستهداف المدنيين ومنازلهم بالقنابل والرصاص وقذائف الراجمات، ما أدى إلى وقوع إصاباتٍ تسببت في وفاة طفلٍ متأثراً بجراحه، وبينما كانت النيران تنهال على الحي، كانت قوات النظام تقف متفرجةً وهي تشاهد مليشيات الدفاع الوطني تستعمل الأسلحة المتوسطة، الأمر الذي دفع بالثوار للرد عليهم بالمثل.

وبين هذه النيران وتلك، بقي المدنيون عالقين داخل منازلهم ينتظرون تدخّل لجنةِ المصالحة لإعادة الهدوء إلى الحي كما يحدث في كل اشتباك، فقوات الأسد ومليشياته لا تسعى لخرق الهدنة ولا إلى إعادة إشعال الجبهات فيها ولكنها تستخدم تلك المناوشات كوسيلة للضغط على الثوار بورقة المدنيين، فمع كل اشتباك يُحتجز عشرات المدنيين إما داخل الحي وإما خارجه ويمنع الدّخول أو الخروج أوحتى إدخال المواد الغذائية، وقد يتعرض العشرات من المارين عبر الحواجز لعمليات الاعتقال المؤقت والتي قد تمتد لعدّة أيام دون مراعاةٍ لنساء أو مرضى أو أطفال.

و يتحدّث الناشط أبو العز الدمشقي «لصحيفة العهد» عن حي البرزة قائلاً: «**يعتبر الحي مدخلاً لحي القابون وحي تشرين ويوجد فيه أكثر من ٣٥٠ ألف نسمة من المدنيين، الذين يتعرضون للتهديدات المستمرة بالاعتقال أو بحصار الحي.**

قبل فترة قريبة اتهم النظام ثوار برزة بخطف ضابط، وتم إغلاق المنفذ الوحيد المؤدي إلى الحي بشكل كامل لمدة ثلاثة عشر يوماً، الأمر الذي تسبب بمعاناة كبيرة للأهالي الذين لم يكن لديهم مؤونة كافية، فتعرضوا لاستفزازات وشتائم وإهانات أثناء محاولتهم الخروج من الحي، والتي باءت طبعاً بالفشل».

ويتابع أبو العز: «**قامت حواجز النظام منذ فترة قريبة أيضاً بخطف امرأتين خلال مرورهما عبر الحاجز وأنكروا الأمر تماماً، إلا أن شهوداً أكدوا عملية الاعتقال. كما قام أحد عناصر الدفاع الوطني من حي عش الورور قبل أكثر من أسبوع بخطف ستّ سيدات انتقاماً لاختفاء أخيه الذي يُعتقد أنه معتقل عند قوات الأسد، الأمر الذي دفع بعض أهالي المختطفات لمحاولة خطف باص من الشبيحة من أجل المبادلة لكن المحاولة فشلت، وزاد التوتر في الحي بدل أن يتم حل المشكلة**».

ومع كل تجاوزات مليشيا الدفاع الوطني تظهر تجاوزات أخرى من عناصر حواجز النظام المؤدية للحي، والتي يكون سببها على الغالب تضاربٌ في الصلاحيات والنفوذ، فحاجز فرع الأمن الجوي يعتبر نفسه أوسع صلاحية من حاجز الحرس الجمهوري المجاور له، لذلك قد يُغلق الطريق دونما سبب وإنما احتجاجاً على تجاوزات الحاجز الآخر أو إثباتاً لسيطرته و قوته دون أي التفات لطوابير البشر الواقفين أمامه.

لم تكن الهدنة سوى خيار صعب فرضته الظروف على الحي، فبعد أن كان حي برزة الدمشقي مقصد القاصي والداني ، تقام فيه أهم الفعاليات الثورية والأمسيات، غدا مكاناً يعيش أهله القلق يومياً، منتظرين أن يُفتح الطريق لينطلقوا لقضاء حوائجهم وشراء احتياجاتهم والذهاب إلى أعمالهم، قبل أن تتغير أهواء القائمين على مدخل الحي ويُغلق الطريق من جديد.

العالقون على حواجز برزة